المحاضرة الرابعة
أساليب البحث في دراسة أسباب المشكلات الاجتماعية

تعد عملية البحث الاجتماعي هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن للمهتمين بـ البحث الاجتماعي من رسم صورة دقيقة و محددة من مشكلات بعينها، تلك الصورة التي لا يمكن الاعتماد في رسمها على مجرد انطباعات و معتقدات شخصية لأفراد المجتمع لان الفرد لا يرى سوى جانب محدود من العالم الاجتماعي.

فإهتمام الإنسان بدراسة المشكلات الاجتماعية قديم قدم اهتمامه بالحياة فنحن نهتم بالسلوك الذي يتنافى مع قواعد الأخلاق و ديناميكية النظام الاجتماعي و المشكلات لا يكون وجود لها إلا إذا وجد الإنسان فلا شك أن الإنسان يعيش مع جماعة داخل مجتمع و من هنا توجد علاقات متبادلة بين أفراده و جماعاته بل بين هذا المجتمع و المجتمعات الأخرى .هذه العلاقات لا تسير دائما عن طريق التفاهم و الانسجام بل تشوبها في أحيان كثيرة عوامل الاضطراب و التصادم و النزاع .

فالمشكلات الاجتماعية لا توجد في مجتمع دون آخر بل توجد في كافة المجتمعات و منذ بدء الخليقة إلا إن حدة المشكلات و نوعيتها هي التي تختلف من زمن لآخر و من مجتمع لآخر.

و المتتبع لتاريخ الفكر الاجتماعي يمكنه ان يؤكد على حقيقة مؤداها أن تاريخ الحضارات البشرية يمثل تاريخا للنجاح او الفشل في مواجهة المشكلات الا جتماعية فالمشكلات الاجتماعية و كل ماله علاقة بها قد ساهم في تحفيز الفكر البشري للعمل على إيجاد صيغ و حلول لما يواجه الإنسان من عقبات كانت محصلتها النهائية تطور المعرفة و ارتقائها و هنا تتضح العلاقة الجدلية بين الفكر و المشكلات .

و على أية حال ففي الوقت الذي ساعدت فيه المشكلات على تطور الفكر فقد ساعد التطور الفكري و المعرفي على دراسة المشكلات بشكل أكبر و أعمق ضمن مراحل تعاقبية ابتدأت بالفلسفة و منذ أقدم العصور إلى أن وصلت في الوقت الراهن إلى حقل العلم.

فالاهتمام بدراسة المشكلات الاجتماعية و كيفية مواجهتها لم يكن وليد العصر الحديث فلقد سبق القدماء الباحثون في تناول المشكلات التي تواجه مجتمعاتهم و لقد كان تناولهم أقرب إلى الفلسفة من ناحية و إلى النظري من ناحية ثانية و إلى النظرة الذاتية الأخلاقية من ناحية الثالثة .

و من هنا يمكن القول أن التفكير الاجتماعي القديم كان تفكيرا ذاتيا و لم يكن تفكيرا موضوعيا و التفكير الذاتي هو الذي يعبر عن وجهة نظر المفكر و آرائه الذاتية،أما التفكير الموضوعي فانه يبحث الظواهر بحثا علميا لمعرفة طبيعتها للوصول إلى قوانينها و لقد استغرق الإنسان وقتا طويلا حتى تمكن من معالجة الموضوعات التي تتناولها العلوم الاجتماعية بطريقة علمية .

كما ظهرت بعد ذلك محاولات هامة نحو التحليل الموضوعي للقوى الا

اجتماعية في كتابات العديد من المفكرين الاجتماعيين و منهم "**فيكو**" في كتابه مبادئ علم جديد و "**منتسكيو** "في كتابه روح القوانين" و" **كوندرسيه** " في كتابه لوحة تاريخية لتقدم العقل البشري .و" **سان سيمون"** و دراسته للإصلاح الا جتماعي.

و مع حلول القرن الثامن عشر لم تكن المشكلات الاجتماعية تدرك باعتبارها مشكلات فقد كان هناك نوعا من القناعة فالفقر ووفيات الأطفال العالية و الأمراض المتوطئة و سوء التغذية و الأمية تلك المظاهر السائدة في المجتمعات البدائية الساكنة لا يشعر الأفراد في تلك المجتمعات بوجود مثل لتلك المشاكل لأن مرحلة الوعي بالمشكلة لم تتبلور بعد أي أن الناس لم يشعروا بعد بأن تلك الأوضاع تهدد رغباتهم فهم يعتقدون أن هذه الأوضاع جزء لا يتجزأ من كيان المجتمع .

هذا بالإضافة إلى ما أحدثته الثورة الصناعية من تغير في طبيعة العلاقات ا لاجتماعية القديمة التي تناسب المجتمعات البسيطة و لا تلائم التطورات الصناعية الحديثة و ما أحدثه التقدم العلمي الهائل من تغير في تفكير الإنسان و إعادة النظر في موقفه مع الطبيعة.

فبعد أن كان خاضعا لها أصبح مسيطرا عليها و ما أدى إليه ذلك من تعقد للنظم الاجتماعية و تناقضها و ذلك لاحتواء هذه النظم على عناصر جمعت بين القديم و الجديد الأمر الذي ادى الى عدد من المتناقضات في الحياة الا جتماعية و ظهور كثير من المشكلات على المستوى الفردي و الجماعي نتيجة سرعة معدلات التغير الاجتماعي .

- و من أهم الدراسات الاجتماعية تلك التي أجريت في أوروبا و خاصة في بريطانيا منذ منتصف القرن 19 الميلادي و هي دراسات " **تشارلز بوث"** و **"سيبهوم روانتري"** و التي كشفت عن العديد من المشكلات الاجتماعية المتعلقة بالحياة الحضرية و مشكلة الفقر ووضحت أهم العوامل المؤدية إلى حالات الفقر المتطرفة ومنها عدم انتظام فرص العمالة و حالات المرض التي يعاني منها أبناء الطبقات الفقيرة

- حيث كان التحضر و التصنيع في بداية عهده و لقد جذبت عديد من المشاكل الا جتماعية اهتمام أفراد المجتمع بدرجة كبيرة و أصبح مطلب الإصلاح أمرا لا مفر منه.

- و في حوالي عام **1865** تشكل علم اجتماع أمريكي أخذ على عاتقه مهمة أساسية و هي تطبيق تاريخ العلم في دراسة المشكلات الاجتماعية و من الطبيعي يحتل الإصلاح الاجتماعي مكانة أساسية بين اهتمامات هذا التنظيم العلمي،

- و أن على علم الاجتماع الكشف عن هذه القوانين التي تحكم السلوك الإنساني حتى يمكن تطبيق نظرياتهم المتصلة بالحد من الأوضاع السيئة التي تتعرض لها المجتمعات في ظل ظروف التغير و التحضر و التصنيع كالجريمة.

و هذا معناه أنه بقدر ما يتمتع به علم الاجتماع من أرضية امبريقية صلبة بقدر ما يقف على قاعدة علمية متينة

- و في أواسط القرن العشرين تحول اهتمام علماء الاجتماع إلى مناقشة أمور

تتعلق بالمنهج و البناء النظري حيث ظهرت نظريات "**دور كايم**" و"**ماكس**" فيبر بما أدى إلى تعاظم الهوة بين النظرية الاجتماعية و تطبيقاتها على مشكلات محددة .

و على أية حال فالمشكلات الاجتماعية موجودة سواء أردنا أم لم نرد فهي تؤثر فينا الى الحد الذي يمكننا من التعرف على بعضها و لكن القليل منا هم الذين يستطيعون تحديد ووصف الظروف او العوامل التي تؤدي إلى المشكلات الا جتماعية.

و عالم الاجتماع ينظر إلى المشكلة الاجتماعية في سياقها الاجتماعي العام نظرة شمولية لها انعكاساتها على البناء الاجتماعي ككل ذلك إن مصدر المشكلة هو المجتمع و ليس الفرد فبدلا من أن نفكر في إرجاع المشكلة إلى الفرد علينا أن نتوجه إلى جذورها و أصولها في المجتمع فالفرد يولد صفحة بيضاء يضع المجتمع بصماته على تلك الصفحة فيشكلها كما يشاء .و ذلك من خلال مؤسساته المختلفة كالأسرة و الجيرة و جماعة الرفاق و المدرسة ووسائل الاتصال الجماهيري و العادات و التقاليد و نظمه الاقتصادية و العوامل التكنولوجية و عوامل التحضر و التصنيع و الهجرة و الحروب و التغيرات السياسية، و تصبح العلاقة بينه و بين المجتمع علاقة تأثير و تأثر و من خلال هذه العلاقة ينشأ الفرد فيكون صالحا أم طالحا.)

قبل تقديم الأساليب العلمية التي يمكن بواسطتها فهم و تحليل و دراسة أبعاد المشكلات الاجتماعية مختلف الأسباب المؤدية لوقوعها ينبغي الأخذ بعين ا لاعتبار ما يلي .

- أن النظم و المشكلات الاجتماعية مترابطة ترابطا عضويا .
- أن حل المشكلات يمكن أن يؤدي إلى تغيير كلي لطبيعة الحياة الاجتماعية .
- أن المشاكل الاجتماعية تعكس التوجيه القيمي للمجتمع لذالك تعتبر دراسة القيم مدخلا أساسيا لفهم طابع المشكلة وامتدادها ومبلغ عمقها .
- أن مقاييس الخطأ و الصواب و الخير و الشر تتغير في الزمان و ألا يقعوا في المغالطة الكبرى التي تتصور أن هذه المشاكل مسألة طبيعية و ضرورية و عامة في المجتمع الإنساني.
- إن دراسة لمشكلات الاجتماعية لا يجب أن تتم بمعزل عن فهم الارتباط الوثيق بين الثقافة و المجتمع باعتبار أن المجتمع جسم تتكامل وظائفه بناءا على وجود وظائف ضرورية، و أن ثقافة المجتمع هي هذا الرداء الذي يتغير بتغير العلم عاكس باستمرار أبعاد التغير التكنولوجي.
- تؤدي الحياة الاجتماعية إلى انحرافات في ادوار الناس ومراكزهم نتيجة للتغيير في البناء على أساس إطار مختلف يؤدي إلى إخراج ادوار ومراكز جديدة.
- ليست هناك حتمية في أن تكون المشكلة الاجتماعية ذات صفة عمومية في كل أرجاء المجتمع لتكون أهلا للدراسة، أن يدرس المشاكل الاجتماعية إما على المستوى المحلي أو الإقليمي أو على مستوى المجتمع .

و وفقا لذلك يمكن تلخيص أهم المهام التي يجب أن يقوم بها عالم الا

اجتماع عند دراسة المشكلات الاجتماعية ما يلي

- ضرورة استخدام المنهج العلمي في الاهتمام بجمع الحقائق المتعلقة بـ المشكلة الاجتماعية، فالمشكلة لا تنشأ من فراغ ولكنها حصيلة مواقف سلوكية معينة تراكمية خلال فترات تاريخية متتالية .
- التوجه الإيديولوجي و الخلقي و القيمي الذي يعتبر أمرا حيويا بالنسبة لا ختيار المشكلة و طبيعة دراستها و طرق حلها إما بتصحيح العلاقات البنائية أو القضاء على مشاكل الرواسب القديمة ذات الفعالية بالرغم من إعادة تصحيح البناء .
- يجب حصر العوامل التي قد يكون لها اثر على هذه المشكلة ، بدون أن نحكم على مدى أهميتها النسبية ، فهده العوامل ليست جميعا متساوية العلية و الدينامية في إبراز المشكلة
- التعرف على جذور المشكلة الاجتماعية حتى يمكن تقديم تفسير ملائم لواقعها الحالي، ومن ثم التنبؤ بما سوف تكون عليه في المستقبل .
- أن يضع في اعتباره كافة خصائص المشكلة الاجتماعية كالنسبة و الترابط....الخ .
- أن يضع في اعتباره دور التغير الاجتماعي في نشوء صراعات القيم و الأ دوار و المكانات والتي من شأنها تؤدي إلى وجود صور من نماذج السلوك المنحرف .

لقد أجمعت الدراسات العلمية التي تناولت المشكلة الاجتماعية بالبحث و التقصي و التنظير على أن هناك ثلاث أساليب علمية هامة جدا يمكن من خلالها تحليل المشكلة و البحث في العوامل المؤدية لحدوثها و هي كالتالي.

1.الأسلوب التاريخي.

من ابرز سمات المجتمع الإنساني خضوعه لظاهرة التغير المستمر .وهذا ما جعله يمر بمراحل من التطور على مدى العقود والعهود الطويلة التي مر بها ف المجتمع الإنساني بدأ بسيطا واحد بالتعقيد بفعل العديد من العوامل .وهذه التطورات أدت إلى ظهور العديد من الوضعيات الاجتماعية الجديدة المختلفة مع الوضعيات السابقة .وهذه قد تكون بداية لظهور مشكلات اجتماعية جديدة فمثل هذا التوالد للوضعيات الناتجة عن التطور أو التغير يعني أن هناك علاقة وثيقة بين المراحل اللاحقة و بين تلك المراحل وما ينبع عنها من وضعيات اجتماعية فما يتعرض له المجتمع من تغير في المراحل السابقة هو من العوامل المهمة في حدوث مشكلات اجتماعية،فهناك علاقة ترابطية بين مراحل التاريخية والمشكلات الا جتماعية التي يعاني منها المجتمع

2.الأسلوب النفسي

يتكون المجتمع أساسا من الأفراد و بالوقت نفسه، هناك اختلافات واضحة بين الأفراد و بالتالي فان اختلافات الأفراد النفسية قد تؤدي إلى الاختلافات في اتجاهاتهم السلوكية ومواقفهم . وقد تكون هذه الاختلافات من العوامل التي تؤدي أن يتجه بعضهم إلى الخروج على متعارف عليه في المجتمع.

وبالتالي يسلك سلوكيات منحرفة عن القواعد والقيم والمعايير الاجتماعية ولهذا ينظر بعض العلماء وخاصة علماء النفس إلى أن المشكلات الاجتماعية تظهر بفعل الفروق الفردية وانعكاس ذاتية الفرد على المجتمع وبالتالي فهم يعطون الأ ولوية للعوامل النفسية في حصول المشكلات الاجتماعية.

3.الأسلوب السوسيولوجي:

هنالك ترابط وثيق بين المؤسسات الاجتماعية و بالتالي فان حدوث اي تغير في اي مؤسسة اجتماعية لابد و أن يؤثر في بقية المؤسسات ،فان حدوث تغير في اي مؤسسة لابد و ان يؤثر على بقية المؤسسات سواء على الصعيد الاستجابة او الرفض مما يؤدي الى حدوث تصادم بين هذه المؤسسات مما يولد اختلافات يعطل قدرة المجتمع على تنظيم العلاقات و حصول صراع بين القواعد الاجتماعية التي تنظم السلوك و بين الأهداف التي وجدت مع التغير.

والمجتمع الحديث به أنواع متعددة من الصراع و التعقيدات و الاضطرابات توصف غالبا بأنها الأزمات الاجتماعية لعصرنا ، و يشار غالبا إلى أن النظم الا جتماعية التي تزداد أحكاما لسلوك الناس و تؤدي في نفس الوقت إلى زيادة أبعادهم الاجتماعية تحدث من الثغرات في البناء الاجتماعي مما يؤدي إلى انبثاق عدد كبير من المصاعب أمام الأفراد و التصدعات التي تصيب المجتمع و التي يشار إلى كل منها عادة على أنها مشكلةاجتماعية.

و لكننا عندما نتصدى لفحص الفكرة السوسيولوجية عن المشكلة الا جتماعية فلا بد لنا على الأقل من معالجة ست مسائل مرتبطة هي :

- المقياس المركزي للمشكلة الاجتماعية و في هذا الصدد يجب أن نميز تمييزا واضحا بين المستويات الاجتماعية و بين الوقائع الاجتماعية.
- إلى أي حد يمكن أن نجد للمشاكل الاجتماعية جذورا ر أو أصولا اجتماعية.
- من هم الذين يحددون المشكلة الاجتماعية في المجتمع ويشيرون إليها صراحة .
- ا لمشاكل الاجتماعية الظاهرة و الباطنة.
- الإدراك الإجتماعي للمشاكل الإجتماعية.
- الطرق الذي يدخل بها الاعتقاد في إمكان إصلاح المواقف الاجتماعية غير المرغوبة في تعريف المشاكل الاجتماعية (

فإذا كان غرض علم الاجتماع أن يدرس المجتمع دراسة علمية و وصف التغيرات الاجتماعية و تفسيرها، فإن غرض العلم الأساسي فهم المجتمع أو لا ثم وضع برامج و سياسات اجتماعية أن تترجم هذا الفهم العلمي للمجتمع إلى حركة إصلاح اجتماعي .

. و لذا يتعين أن تهتم الدراسات الاجتماعية بدراسة المشكلات و معرفة جذورها و المساهمة في رسم سياسة اجتماعية علمية يتغلب بها على هذه المشكلة ، و هذا يتطلب من علماء الاجتماع ضرورة الاهتمام بالبحث و التجريب عند دراسة المشكلات و الإسهام في رسم سياسة اجتماعية واضحة بدلا من التأمل في الحلول ، و على عالم الاجتماع أن يستند في دراسته للمشكلات الاجتماعية على علوم كثيرة .

كما يتعين عند دراسة المشكلة الاجتماعية للحد من خطورتها أن نلا حظ هذه المشكلة في علاقتها بالبناء الاجتماعي و بمراحل تطور المجتمع ليسهل تقديم التفسيرات الملائمة، فالمشكلات تتفاوت بين الريف و الحضر و بين المناطق الحضرية المختلفة. و هناك مشكلات إجتماعية خطيرة تساعد على تفويض البناء و أخرى بسيطة يسهل القضاء عليها .

4. الأسلوب الإعلامي

أما المدخل الإعلامي لتفسير المشكلات الاجتماعية فانه يمكن القبول أن لهذا المدخل العديد من الوسائل منها الراديو و التلفزيون و الصحافة....الخ و جميع هذه الوسائل تعرض موضوعات عن المواقف الاجتماعية و المشاكل التي تعاني منها الجماهير و تقوم الجماهير بتكوين رأيها بناء على ردود الأفعال المنعكسة داخلهم نتيجة لتفسيرات ممثلي وسائل الإعلام فالصحافة على سبيل المثال كانت منذ القرن الثامن عشر كانت بمثابة أداة للتحدي و مهاجمة الاستغلال و التفكك و ا لانحراف في المجتمع و تعتبر الصحافة اليوم بمثابة وسيلة فعالة لإثارة استجابات الجمهور ضد الفقر و التخلف و الجريمة و انحرف الأحداث و عدد من الأمراض الا جتماعية الأخرى.

5.أساليب البحث العلمي

عندما لا تتاح البيانات و الحقائق عن مشكلة ما فانه يتم التوصل اليها من خلال وسائل مختلفة كل وسيلة لها مميزاتها و عيوبها و كل وسيلة تكون أكثر ملاءمة في دراسة موضوع بعينه من غيرها من الوسائل و أبرز الوسائل التي يستخدمها العلماء في دراسة المشكلات الاجتماعية هي .

أولا. الملاحظة المشاركة

تتضمن الملاحظة بالمشاركة عدة أشياء حيث ينص كل من McCall and Simmons إلى أن الملاحظة المشاركة تتضمن قدرا من التفاعل الاجتماعي الحقيقي في ميدان الدراسة و الملاحظة مباشرة للوقائع المتصلة بموضوع الدراسة و قدرا من المقابلات الرسمية و غير الرسمية و جمع قدر من الوثائق .

كما أن الملاحظة المشاركة يشارك فيها الباحث بصورة مباشرة و يلاحظ الواقع الا جتماعي الذي يدرسه و هو في نفس الوقت يعد جزءا من الواقع الاجتماعي الخاضع للدراسة و منفصل عنه أيضا.

ثانيا دراسة الحالة

هي الدراسة المتعمقة و المكثفة لظاهرة اجتماعية معينة و هي ما يطلق عليها الدراسة المونوغرافية من أمثلة الموضوعات التي يمكن دراستها من خلال دراسة الحالة وقائع الشغب او التمرد و السلوك المنحرف داخل الجماعة الإجرامية و نوعية الحياة داخل المستشفيات ...الخ و قد يكون وحدة الدراسة في دراسة الحالة فردا او جماعة أو نظاما أو مجتمعا محليا..

ثالثا .المسح الاجتماعي

يستخدم بهدف التوصل إلى حقائق أو آراء حول قضية او مشكلة او ظاهرة معينة من سؤال مجموعة الأفراد و ربما يتكون مجموع الأفراد من أي طبقة أو فئة او

شريحة اجتماعية فقد يكون جمهور المسح إما نساء أو مستهلكين أو حمهور برنامج تلفزيوني .الخ
و ليس من الضروري و لا العملي أن يشمل المسح كل مفردات وحدة أو مجتمع الدراسة و إنما يتم تطبيقه على عينة عشوائية من مجتمع الدراسة و من الضروري أن تكون العينة المسحوبة عينة ممثلة لمجتمع الدراسة حتى يمكن تعميم نتائج المسح على مجتمع الدراسة